Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(7), May 2018

Article History		
Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online / Yayınlanma
30 /4/2018	5 /5/2018	15 /5/2018

الصوائت عند سيبويه في منظور علم الأصوات الحديث

د. عبير بني مصطفى

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على منهج سيبويه وإبراز الجهد الذي قدمه في دراسة الصوائت العربية بهدف الوقوف على قواعدها الصوتية ثم الموازنة بينها وبين ما توصل إليه علم الأصوات الحديث المعتمد على التقنيات الحديثة ومختبرات الصوت .

وقد خلص البحث إلى أن ما قدمه سيبويه من آراء تتعلق بدراسة الصوائت كان في بعضه منسجما ومتوافقا مع معطيات علم الأصوات الحديث ،في حين أن بعضه الآخر كان مختلفا إلى حد كبير وغير متوافق مع هذه المعطيات.

ويمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها الدراسة بما يلي:

- اهتم سيبويه بدراسة الحروف الصحاح أكثر من اهتمامه بدراسة الحركات القصيرة فوصفها وصفا تفصيليا وبين أقسامها ،وحدد مخارجها وما يصاحبها من حركات أعضاء النطق .بينما لم تحظ الحركات بعنايته لأنه عدها عناصر ناقصة تابعه للحروف ليس لها وجود مستقل .وتصور أنها حروف ساكنة مسبوقة بحركات من جنسها . وهي فكرة لا يقبلها علم اللغة الحديث ،ويعود السبب في ذلك لوجود رموز مستقلة للحروف في نظام الكتابة العربية دون الحركات .وهو نظام يركز على الصورة المكتوبة دون المنطوقة التي تعتبر أساسا يعتمد عليه في الدرس الصوتي الحديث .
- على الرغم من بعض الأحكام الانطباعية التي وردت عند سيبويه والمبنية على اعتبارات خطية لا نطقية إلا أنه أدرك بحسه المرهف قوة العلاقة ووحدة الخصائص النطقية بين الحركات وأحرف المد واللين . وأشار إشارة صحيحة إلى كيفية إصدار هذه الحروف من امتداد مجرى الهواء واتساعه ومروره دون عائق . واستطاع أن يفرق تفريقا صحيحا بين حالتين للواو والياء الأولى حالة المد الخالص ، والثانية حالة اللين فقط وتختص بالياء

  والواو إذا كانتا متحركتين أو وقعتا ساكنتين بعد فتح .
- التوصيات:

توصي هذه الدراسة بإخضاع الحركات لمزيد من الدراسات الفيزيائية المعتمدة على الأجهزة العلمية ،وذلك للكشف عن خصائصها الفيزيائية وبيان الفروق الصوتية بين الحركات القصيرة والطويلة من جهة ،وبين الحركات والصوامت من جهة ثانية.

الصوائت عند سيبويه في منظور علم الأصوات الحديث

د. عبير بني مصطفى

Letters sounds at Sebawayyeh from modern phonetics perspective

Dr. Abeer Bani Mustafa

Abstract

The aim of the study was to shed light on Sebawayyeh approach and to clarify the effect provided by the scholar in examining Arabic letters sounds to identify the phonetics rules in these letters then to balance between them and what was provided by the modern phonetics using modern technologies and sounds labs.

The study concluded that what Sebawayyeh has provided of opinions related to examining letters sounds were consistent with the ones provided by the modern phonetics science while others were very different from the ones given by it.

The most important findings of the study were:

- Sebawayyeh has paid great attention to the consents more than short sounds as he described them thoroughly, their division, their sounds and the articulation mechanisms used. The sounds movements were a major concern for Sebawayyeh as he considered them as deficit affiliated to the consent and lack an independent existence. He though that they are constants proceeded by movements from the same genre. This idea is refused by the modern phonetics science as there is dependent symbols for letters in the Arabic transcription system, which focuses on the written form, not the articulated one, which are the rule in modern phonetic science.
- Despite the fact that some impressionist rules mentioned by Sebawayyeh, which are based on non- articulated linear considerations, he realized the strength of the relationship and the unity of the articulation features between articulation movements. He indicated how these letters are articulated and was able to distinguish between Wow and Ta' in the pure Mad movements in addition to distinguishing between Ya' and Wow if they were moved or coming between two letters without movement.
- **Recommendations:**

  The study recommends the submission of more articulation movements for more physical study based on the use of scientific devices to identify their physical features and to identify the phonetic differences between the short and long movements from one hand and the movement and non-articulated letters on the other.

الصوائت عند سيبويه في منظور علم اللغة الحديث

اعتنى علماء اللغة العربية قديماً بأصوات اللغة وأدركوا أهمية الدراسة الصوتية باعتبارها مقدمة أساسية لا بد منها لدراسة اللغة وخاصة النظام الصرفي، فاجتهدوا في ضبط مخارجها وتحديد صفاتها وبيان أقسامها.

وكان أول من اعتنى بالأصوات الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة معجمه العين فأعاد ترتيب الأصوات على حسب المخارج في الفم وتحدث عن صفات الحروف، وبين أقسامها، وهو أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية والمعجمية. وتبعه في ذلك سيبويه واستطاع بحسه الدقيق وملاحظته الذاتية أن يصل إلى وصف دقيق للأصوات العربية فبين عدد الحروف ومخارجها وصفاتها وأقسامها وإدغامها وإبدالها، وتحدث عن الإعلال والإمالة وتسهيل الهمز وغير ذلك من الظواهر الصوتية.

وظلت نتائج ما توصل إليه أساساً مرجعياً للدرس اللغوي لفترة طويلة من الزمن، فكان كتابه حصيلة أعمال الدارسين الأوائل بما امتاز به من كثافة ونضج في المادة الصوتية إلى أن جاء العصر الحديث وبنى المحدثون دراساتهم على القواعد التي وضعها القدماء وعلى رأسهم سيبويه واستطاعوا بما توفر لديهم من مناهج حديثة ووسائل علمية متطورة أن يمدوا الدرس الصوتي بمعلومات أكثر دقة وموضوعية، وإن كانت آراؤهم متفقة في كثير منها مع ما جاء به القدماء.

وقد اهتم سيبويه بالحروف الصحاح أكثر من اهتمامه بالحركات ويعود ذلك لوجود رموز مستقلة في نظام الكتابة العربية للحروف دون الحركات. وهو نظام يركز على الصورة المكتوبة دون المنطوقة بينما تعتبر الصورة المنطوقة أساساً في الدرس الصوتي الحديث. وما فعله القدماء أنهم نظروا إلى الصورة المكتوبة فوجدوا الحركات تدون فوق الحروف فوصفوها بأنها حركات فإن خلتْ منها الحروف وصفت هذه الحروف بأنها ساكنة[1].

ولقد أولى سيبويه حروف المد عناية أكبر وأعمق مما فعله مع الحركات القصيرة الفتحة والضمة والكسرة. ويعود ذلك أولاً إلى أن هذه الحروف لها رموز كتابية تشكل جزءاً من جسم الكلمة ومن ثمّ يسهل تعرّفها والتعامل معها[2].

والسبب الثاني الذي دعا لهذا الاهتمام هو ما لاحظه من خضوعها للتغير والتبدل من صيغة إلى أخرى ومن قالب صرفي إلى آخر وأنها في كل أحوالها غير مستقلة؛ فكان لا بد من معرفة هذا التغير ومعرفة أسبابه[3].

وجاءت دراسة سيبويه لحروف المد الألف والواو والياء باعتبارها مجموعة صوتية واحدة لها خصائص نطقية متقاربة تميزها عن غيرها. وهي مجموعة حروف المد واللين. أما مصطلح حركة فلا يشمل عنده حروف المد أو الحركات الطويلة بمصطلح المحدثين بل يقصد به الحركات القصيرة الفتحة والضمة والكسرة.

---

[1] ينظر :علم الأصوات النطقي، هادي نهر،ص37.

[2] ينظر :علم الأصوات، كمالل بشر،ص430.

[3] ينظر السابق ص427، 430، 432. و في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، غالب المطلبي ،ص9.

وقد نظر إلى الحركة على أنها عناصر ناقصة لا بد أن تعتمد على حرف صحيح وليس لها وجود مستقل، وهي ليست جزءاً من نسيج الكلمة لأنها تكتب فوق الحرف أو تحته. وهو السبب الذي حمله والقدماء على النظر إلى الحركات بأنها تابعة للحرف الصحيح ولم ينظر إليها على أنها مكون مهم من مكونات النظام الصرفي للغة بل هي مجرد زوائد أي ليست من أحرف الكلمة الأساسية. وقد أدت هذه النظرة إلى سوء فهم في تحديد طبيعة الحركات في العربية[4].

يقول سيبويه نقلاً عن الخليل: "وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو فكل واحدة شيء مما ذكرت لك"[5].

ولعل هذه النظرة إلى الحركات على أنها زوائد توضع فوق الحرف أو تحته أدت بسيبويه والخليل من قبل إلى سوء فهم في تحديد طبيعة الحركات فعاملوها كما لو كانت تابعة للحرف الصحيح.

والحركات ليست فقط تابعة للحرف عندهم بل هي حروف ساكنة مسبوقة بحركة من جنسها وهي ناشئة عنها فالألف مسبوقة بفتحة والواو مسبوقة بضمة والياء مسبوقة بكسرة. يقول في وصف واو المد وياء المد: "لأنهما ساكنان وحركة ما قبلهما منهما"[6] ويقول: "وليس مثل هذه الواو والياء لأن حركة ما قبلهن منهن كما أن ما قبل الألف مفتوح"[7].

فلما كانت حروف المد عند سيبويه ساكنة ولا يلتقي ساكنان كان لا بد من القول بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه، وهي فكرة قام عليها الدرس العربي القديم ولا يرتضيها الدرس الصوتي الحديث[8]. لأن حروف المد عند المحدثين ليست صوامت ولا هي مسبوقة بحركة من جنسها. يقول إبراهيم أنيس في وصف هذا المنهج: "ولكن القدماء قد ظلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد فقالوا مثلاً إن هناك فتحة على التاء في كتاب، وكسرة تحت الراء في كريم، وضمة فوق القاف في يقول. والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في كتاب محركة بألف المد وحدها، والراء في كريم محركة بياء المد وحدها، والقاف في يقول محركة بواو المد وحدها"[9].

وعلى الرغم من هذه النظرة لدى سيبويه التي تبع فيها أستاذه الخليل وتبعه فيها من جاء بعده؛ فإنه قد أدرك العلاقة بين الحركات القصيرة وحروف المد وأنها من طبيعة واحدة، وأن حروف المد ما هي إلا إطالة للحركات القصيرة. مما يعني أنه أدرك خواصها لأن الألف

---

[4] ينظر :علم الأصوات، كمال بشر،ص427، 429. والأصوات اللغوية،سمير ستيتية، ص203. والصوائت والمعنى في العربية ،محمد محمد داوود،ص18-19.

[5] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص363.

[6] السابق، ص424.

[7] السابق، ص9.

[8] ينظر : أبحاث في أصوات العربية،حسام النعيمي، ص17. والصوائت والمعنى ،محمد محمد داوود،ص19.

[9] ينظر : الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس،ص39.

والواو والياء ناشئة عنها بدليل أن كل حركة إذا أشبعت نشأ منها حرف يجانسها[10]. يقول: "فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك"[11].

وهذا يدل على أن الفرق بين حروف المد والحركات القصيرة هو فرق في الكمية عنده، أي في الطول لأنها منها وناشئة عنها. بينما أثبتت الدراسة التشريحية الحديثة أن الخلاف بينهما ليس في الكمية فقط بل في الكيفية، فموقع اللسان مع إحدى الحركتين المتقابلتين مختلف قليلاً عن الآخر[12].

وذهب بعض المحدثين إلى أن مسألة الطول هذه قد تختلف باختلاف موقع الحركة في المقطع وموقعها في الكلمة وبحسب عدد المقاطع. وتظهر الدراسات المخبرية الحديثة أن الطول قد يكون بمضاعفة طول الحركة القصيرة مرتين أو أكثر أو أقل، ولكنها بشكل عام تؤخذ على أنها تعادل حركتين قصيرتين[13].

وقد جاءت تسمية حروف المد بهذا الاسم إشارة إلى امتداد الهواء معها دون عائق أو مانع يمنعه عند إصدارها. ولهذا أيضاً سميت باللين نظراً لسهولة إخراجها بلا احتباس أو تضيق[14].

وقد شعر سيبويه بامتداد الهواء وحرية خروجه معها حال النطق بها، فمخرجها يتسع لهواء الصوت أكثر من اتساع غيرها، يقول: "وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمدّ للصوت فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوي الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع في موضع الهمزة"[15]. وهو هنا يعني باللين ما قصده الخليل بالهوائية من أن الهواء يمر في أثناء حدوثها ليناً وسهلاً من غير إعاقة ولا تضيق لأنه ليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف[16]. وليس المقصود به الضعف كما فسره بعض المحدثين[17].

أما قوله فلا تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق فيشير إلى حالة خلوصها للمد الكامل فلا تتعلق بشيء من جهاز النطق.

---

[10] ينظر :علم الأصوات النطقي، هادي نهر،ص18.

[11] الكتاب، سيبويه،ج4، ص363.

[12] دراسة الصوت اللغوي ،أحمد مختار عمر،ص329. وفي الأصوات اللغوية، غالب المطلبي ،ص38.

[13] ينظر :الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى. عبد المعطي نمر موسى ،ص122.

[14] ينظر :علم الأصوات ،كمال بشر،ص423،430.

[15] الكتاب، سيبويه ،ص289.

[16] كتاب العين، الخليل بن أحمد ،ج1، ص57.

[17] ينظر :في الأصوات اللغوية، غالب المطلبي ،ص17. و المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، إبراهيم عبود السامرائي ،ص209.

وقد خص سيبويه الألف بصفة (الهاوي) لأن مخرجه أكثر اتساعاً من مخرج الياء أو الواو، وذلك لأنك قد تضم شفتيك مع الواو، وترفع لسانك مع الياء، ولا يحدث ذلك مع الألف يقول: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف"[18].

ويدل قوله هذا على أنه قد شعر بحرية مرور الهواء مع هذه الأصوات وبوضوحها وانعدام وجود التضيق معها. وهو الأساس الذي اتخذه المحدثون معياراً للتفريق بين الصوامت والصوائت.

وقد خص الألف بمزيد من هذه الصفة لأنها أشد اتساعاً فهو يراه كالذي يهوي ولا يستند اللسان معه إلى شيء، ولا يحتك الهواء معه بشيء، وهو أكثر تميزاً من الواو والياء في ذلك فلهذا سماه بالهاوي دون غيره[19]. وهو أمر أثبتت صحته الدراسات الحديثة التي أظهرت أن الألف أكثر اتساعاً لمجرى الهواء، والهواء معها أشد انطلاقاً مما هو الحال مع كل من الواو أو الياء.

ولأجل هذا الاتساع في مخرج الصوت وجريان النفس معها دون عوائق وصفها سيبويه أيضاً بصفة الخفاء. والألف أكثرها خفاء نظراً لشدة اتساعها تليها الياء تليها الواو. يقول: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف ثم الياء ثم الواو"[20]. ويشاركهن في الخفاء الهاء التي هي مثل الألف تخرج من أقصى الحلق. يقول: "لأن الهاء من مخرج الألف وهي في الخفاء نحو الألف"[21]. ويقول: "فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة لأنها خفية كما أن الياء خفية"[22].

ولأن الألف أكثرها اتساعاً وأكثرها جرياناً للنفس وأكثرها خفاء عدها سيبويه أخف هذه الحروف، يقول: "وإنما خفت الألف هذه الخفة لأنه ليس فيها علاج على اللسان والشفة ولا تحرك أبداً، وإنما هي بمنزلة النفس. فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء لما ذكرت لك من خفة مؤونتها"[23]. ولأن الفتحة بعض الألف فهي أيضاً أخف الحركات القصيرة تليها الكسرة تليها الضمة، يقول: "لأن الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة كما أن الألف أخف عليهم من الياء والواو"[24].

وتلي الياء الألف في الخفة وكذلك الكسرة فإنها أخف من الضمة، يقول: "ويدلك على أن الياء أخف عليهم من الواو أنهم يقولون ييئِس وييِس فلا يحذفون موضع الفاء كما حذفوا يعد"[25] ويقول أيضاً: "وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف"[26].

---

[18] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص575.

[19] ينظر: المصطلحات الصوتية، إبراهيم عبود ،ص195.

[20] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص575.

[21] السابق، ص307.

[22] السابق، ص310.

[23] السابق، ص479.

[24] السابق، ص281.

[25] السابق، ص481.

والسبب في تراجع الياء والواو عن الألف في الخفة أنهما من حروف الفم لا يكون الهواء معهما متدفقاً منساباً كما هو الحال مع الألف.

إن ما قاله سيبويه فيما يتعلق بسعة المخرج واندفاع الهواء مع الحركات بحرية هو كلام دقيق علمياً من وجهة النظر الحديثة المعتمدة على الأجهزة، فجريان الهواء مع الألف أو الفتحة أكبر بكثير من اندفاعه مع كل من الواو والياء لأن الألف حركة متسعة بينما الواو والياء حركتان ضيقتان.

ومع أن الدراسات الحديثة التي تناولت مسألة المقارنة بين الحركات من حيث الخفة والثقل قليلة إلا أن بعض هذه الدراسات أثبتت من حيث الأساس أن القوة الفيزيائية للألف تفوق القوة الفيزيائية التي في الواو أو في الياء، وذلك لأن مجرى الهواء مع الألف أكثر اتساعاً، وحجم التضييق معها أقل مما هو مع الواو والياء ويترتب عليه أن تكون الألف أكثر تردداً وطاقة أكوستيكية. ولا شك بأن الألف تنتج عن حركة قوية للهواء ولذلك يزيد ضغطها أيضا على الهواء الخارجي وعلى كمية الحركات التي تتحركها طبلة الأذن؛ لذا فإن كمية الضغط المرافق لها تزيد عن غيرها، مما يعني أنها أقوى إسماعاً أيضاً. وتعرف قوة الإسماع بأنها كمية الطاقة الأكوستيكية التي يحملها الصوت[27]. وهذا بلا شك يتنافى مع ما جاء به سيبويه من أن الألف والفتحة أخف الحركات بل إن الألف هي الأكثر قوة وطاقة فيزيائية.

ويفسر خلدون الهيجاوي ذلك بأن الصوائت المفتوحة وهي الفتحة هي أعلى الأصوات اللغوية شدة أكوستيكية بسبب كونها منتجة على أكبر درجة انفتاح للقناة الصوتية، بالإضافة إلى جهرها. وبالتالي هي أقواها رنيناً وإسماعاً. وتتناسب الشدة الأكوستيكية طردياً مع عاملي الجهر وانفتاح القناة الصوتية[28]. كما يرى أن صائت الضمة أقوى من حيث مستوى الشدة الأكوستيكية من صائت الكسرة؛ فهو أقوى رنيناً وإسماعاً منه. وإن صائت الكسرة أضعف إسماعاً من صائت الفتحة في الحالات جميعها[29].

ويرى ستيتية أن عامل طول الصوت يلعب أيضاً دوراً في زيادة هذه الشدة الأكوستيكية؛ فالحركة المفتوحة أقوى من الحركات المغلقة لأنها أقصر. وكلما تدرجنا في فتح الحركة فإننا نعمل على إطالة الصوت مما يعني حدوث مزيد من الطاقة مع الألف[30].

كما أطلق سيبويه على حروف المد أيضاً مصطلح حروف العلة وذلك نظراً لاختلافها عن الحروف الأخرى من الناحية الصرفية، أي من حيث ما يطرأ عليها من تغيير أو إعلال؛ فهي حروف علة وما عداها حروف صحاح[31].

وقد أدخل الخليل الهمزة في حروف العلة لأنه رأى أن مسلكها في العربية من قبل الاعتلال والانقلاب والسقوط مشابه لمسلك الألف والواو والياء في كثير من الأحيان[32]. بينما كان سيبويه أدق في إخراج الهمزة من هذه المجموعة على الرغم من أنه يؤمن بوجود علاقة

---

[26] السابق، ص507.

[27] ينظر : فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، خلدون الهيجاوي،ص223.

[28] ينظر السابق، ص163، 233.

[29] ينظر السابق، ص211-213.

[30] ينظر :الأصوات اللغوية، سمير ستيتية ،ص250-251.

[31] ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر ،ص60.

مشتركة بين الهمزة وبين هذه الحروف من الناحية الصرفية. يقول: "وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف وهي إحدى الثلاث الواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها"[33].

وسبب هذه العلاقة هو ما يعتري الهمزة في النطق العربي من إبدال أو حذف أو تسهيل بين بين، ولكون الألف تحمل الهمزة في الرسم الكتابي، مما جعله يخلط بين مخرجي الألف والهمزة[34].

والسبب الثاني هو اعتقاده أن الألف والهمزة من مخرج واحد وهو أقصى الحلق. وقد كانت الهمزة عند الخليل جوفيه تخرج من الجوف. أما سيبويه فقط أسقط الجوف كمخرج للهمزة، وأصبحت المخارج عنده ستة عشر مخرجاً أبعدها مخرج الهمزة التي هي كما يقول: "نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً"[35]. وتليها من المخرج نفسه الألف. كماأنه جعل واو المد من مخرج الواو المتحركة من الشفتين، وياء المد من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان، يقول: "والحروف العربية ستة عشر مخرجاً فللحق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف ... ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ... ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"[36].

وبالطبع فإن ما ينطبق على حروف المد ينطبق عنده على الحركات القصيرة، فمخارجها هي مخارجه،ا لأنها منها وهي من جنسها وبينهما مشابهة، فإن أشبعت الحركة نشأت حروف المد التي من جنسها؛ لذا فإن الفتحة عنده أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها من مخرج الياء، والضمة بعدها من مخرج الواو وهو الشفتان.

ولم يشر سيبويه إلى الحنجرة في هذا التقسيم لأنه لم يكن على علم بالوترين الصوتيين ودورهما في التحكم في طبيعة الصوت، إذ لم تتوفر له الإمكانات اللازمة لذلك. ويبدو أن أقصى الحلق عنده يشير به إلى موضع الحنجرة، وقد لامس الصواب في وصفه لمخرج الهمزة التي هي صامت حنجري عند المحدثين. ولكنه أخطأ في وصفه مخرج الألف بضمه لها إلى مخرج الهمزة واعتباره لها صوتاً صحيحاً ساكناً. وفي حقيقة الأمر فإن الألف ما هي إلا حركة خالصة. وليست صوتاً صحيحاً ساكناً كما وصفه سيبويه.

ومما يؤخذ عليه أيضاً عدم تفريقه بين مخرجي الياء والواو عندما تكونان مداً خالصاً وبينهما إذا كانتا غير مديتين. وبينهما اختلاف كبير[37]. على الرغم من إشارته الذكية إلى عمل أعضاء النطق في إنتاجهما في قوله: "لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في

---

[32] ينظر :في الأصوات اللغوية، غالب المطلبي ،ص16.

[33] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص27.

[34] ينظر :دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ،ص346. وعلم الأصوات النطقي، هادي نهر ،ص42.

[35] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص29.

[36] السابق، ص573.

[37] ينظر :المصطلحات الصوتية، إبراهيم عبود ،ص198.

الياء لسانك قبل الحنك"[38]. فالشفتان تلعبان دوراً في إنتاج الواو كما أن اللسان له دور في حدوث الياء. وهذا يعني حدوث احتكاك جزئي في موضع النطق وإن لم يذكره سيبويه.

وقد كانت الدراسات الحديثة أكثر وضوحاً ودقة في بيان اشتراك عمل أعضاء النطق في إنتاج الحركات، حيث يساند كل عضو العضو الآخر، ويشترك فيها اللسان والوتران الصوتيان والحنك والشفتان. وهي الأعضاء نفسها التي تعمل في إنتاج أنصاف الصوائت مع انضمام الشفتين أكثر مع الواو وارتفاع اللسان أكثر نحو الحنك مع الياء، بحيث يحدث نوع من الاحتكاك الجزئي فلا فرق بين الياء حرف المد والياء نصف الصائت إلا بأن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك حين النطق بالياء (نصف الصائت) يكون أضيق منه في حالة النطق بياء المد، مما يترتب عليه سماع نوع من الحفيف. وكذلك الواو فلا فرق بينها عندما تكون (نصف صائت) وبين واو المد إلا في أن الفراغ مع الثانية أضيق منه في حالة النطق بواو المد بحيث يسمع للواو نوع من الحفيف[39].

وعلى الرغم من وجود بعض الخلط عند سيبويه في حديثه عن مخارج هذه الأصوات إلا أنه كان دقيقاً في فهمه أن للواو ولليا حالتين مختلفتين، وهما حالة المد الخالص مع اللين، وتشترك معهما الألف في هذه الصفة. وحالة اللين فقط من دون مد، ولا تشترك فيها الألف.

وسيبويه عندما أطلق على هذه الحروف حروف المد واللين كان يقصد وجود المد الخالص مع هذه الحروف، والألف لا تكون إلا حرف مد ولين، وليس لها حالة أخرى لأنها لا تتغير على كل حال، يقول: "فأما الألف فلا تغير على كل حال لأنها إن حركت صارت غير ألف والواو والياء تحركان ولا تغيران"[40].

وقد تكون الواو والياء حرفي مدولين كما هو حال الألف إذا سبقتا بحركة مجانسة لهما، يقول: " فالياء التي كالألف ياء "قنديل" والواو واو "زنبور" لأنهما ساكنان وحركة ما قبلهما منهما"[41].

وقد عبر عن هذه الثلاثة بمصطلح الألف الساكنة بعد فتح، والواو الساكنة بعد ضم، والياء الساكنة بعد كسر.

بينما الواو والياء قد تغيران وتجنحان عن كونهما حرفي مد إلى حالة لا تكونان فيهما مداً محضاً. وذلك إذا تحركتا أو وقعتا ساكنتين بعد فتح، ذهب منهما المد وبقيت صفتهما الأساسية وهي اللين. وبيان ذلك في قوله: "لأنك حيث أدغمت الواو في عدو والياء في وليّ فرفعت لسانك رفعة واحدة ذهب المد وصارتا بمنزلة ما يدغم من غير المعتل"[42]. وفي قوله: "وإذا قلت وأنت تأمر: "اخشي ياسراً" و "اخشوا واقداً" أدغمت لأنهما ليسا بحرفي مد كالألف"[43].

---

[38] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص575.

[39] ينظر : محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب ،ص222. والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ،ص42. وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران ،ص183.

[40] الكتاب، سيبويه نج4، ص29.

[41] السابق، ص424.

[42] السابق، ص580-581.

[43] السابق، ص581.

أما إذا كانتا مداً خالصاً فيمتنع إدغامهما عنده، يقول: "وإذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فإن واحدة منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها، وذلك قولك: "ظلموا واقداً" "واظلمي ياسراً" و "يغزو واقدُ" و "هذا قاضي ياسر" لا تدغم وإنما تركوا المد على حاله"[44].

وعلى الرغم من فهمه لهاتين الحالتين حالة المد واللين وحالة اللين فقط، ومحاولته للتفريق بينهما إلا أنه قد ظهرت عنده بعض التجاوزات لهذا الفهم على مستوى التطبيق فنراه يخلط ويطلق تسمية حرفي المد على ما وصفهما سابقاً بأنهما حرفا لين. يقول: "فلا يكون هذا في زيد وعون ونحوهما لأنهما حرفا مد"[45].

أما المحدثون فقد كان وصفهم لهذه الأصوات أكثر دقة من وصف القدماء لها. أما الألف فلا تكون عندهم إلا مداً خالصاً. وهي عبارة عن حركة طويلة أو فتحتين قصيرتين، لذا فإنهم يسمون الفتحة حركة قصيرة. وأما الواو والياء فقد تكونان مداً خالصاً. وهما في هذه الحالة حركتان طويلتان، وكذلك الضمة والكسرة فهما حركتان قصيرتان. وليست بالطبع هذه الأصوات ساكنة ولا هي مسبوقة بحركة من جنسها كما توهم القدماء.

وأما الواو والياء في حالتهما الثانية التي سماها سيبويه باللين، فقد سميت عند المحدثين أنصاف صوامت أو أنصاف حركات أو أشباه حركات؛ لأنها تجمع في نطقها بين مميزات الصوامت ومميزات الحركات، فلا هي صوامت خالصة ولا هي حركات خالصة بل فيهما درجة متوسطة من انفتاح المجرى الفموي[46]. وتؤديان مهمة الأصوات الصامتة إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة أو إذا كانتا متبوعتين بحركة. وذلك لأن اللسان يرتفع معهما إلى الحنك الأعلى فيحدث الاحتكاك الجزئي في مجرى الهواء. فاللسان عند نطق الياء نصف الصائت يرتفع أكثر من ارتفاعه عند نطق ياء المد، وهي حركة خالصة يقرب معها اللسان من منطقة الحنك اللين ولكن ليس إلى الدرجة التي يؤدي فيها الاقتراب إلى نشوء احتكاك.

وعند نطق الواو المدية يقترب أيضاً اللسان من منطقة الحنك اللين ولكن ليس إلى الدرجة التي يؤدي فيها الاقتراب إلى نشوء احتكاك. أما إذا ارتفع أكثر من ذلك فتصبح الواو نصف حركة[47].

وتتشابه الحركات مع أنصاف الحركات في الوضوح السمعي من ناحية، وفي وضع اللسان واقترابه من الحنك من ناحية ثانية. أما اشتراكها مع الصوامت فهو أنها تقبل مثلها أن تلتئم مع الحركة لتشكل مقطعاً مستقلاً[48].

ولقد أولى المحدثون الحركات عناية أكبر مما فعله سيبويه والقدماء وعرفوها بأنها الصوت المجهور الذي ينطلق الهواء عند تكوينه في مجرى مستمر خلال الحلق والفم دون وجود انسداد أو تضيق يمكن أن يسبب احتكاكا[49].

---

[44] السابق، ص581.

[45] السابق، ص287.

[46] ينظر :مدخل في الصوتيات،عبد الفتاح إبراهيم ، ص66.

[47] ينظر :الأصوات اللغوية، ستيتية ،ص228. و علم اللغة، محمود السعران ،ص148-149. وعلم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل ،ص85، 92، 94.

[48] ينظر :الأصوات اللغوية، ستيتية ،ص163.

وهي لا تقل عندهم عن أهمية الأصوات الصامتة، لأن التكون المقطعي للكلمات والبناء الصرفي للصيغ لا يتم إلا بوجود الحركات التي يعتبرها الدارسون بمثابة النواة والمركز التي تدور حوله الحروف؛ لذلك فإنهم قاموا بوضع معايير أكثر وضوحاً ودقة للتفريق بين الصوامت والحركات تقوم على أسس نطقية ووظيفية وفيزيائية أيضاً. وتتمثل المعايير النطقية بتميز الصوامت بأن ممر الهواء أثناء إصدارها يكون ضيقاً، ويكون التضييق تاماً أو جزئياً، بينما يكون ممر الهواء مع الحركات منفتحاً دون أدنى اعتراض، ويتمثل المعيار الفيزيائي بقوة الوضوح السمعي الذي تتميز به موجات الحركات، فهي أصوات رنانة بينما الصوامت شبه رنانة أو غير رنانة. وهذا عائد إلى حرية مجرى الهواء مع الحركات وحدوث التضييق مع الصوامت. أما المعيار الوظيفي فيتمثل بأن الحركة وحدها صالحة لأن تكون نواة للمقطع العربي فكل صوت من الصوائت يقع قمة لمقطع والصوامت سوى ذلك[50].

ولسنا نلوم سيبويه عندما يحدث لديه بعض الخلط في المفاهيم فمن المتفق عليه أن دراسة الحركات تمثل صعوبة ظاهرة في الدرس النظري وفي الأداء الفعلي لها في كل اللغات نظراً لاختلافها بين اللغات والأفراد، واتساع مخارجها وقابليتها للتطور والتغير؛ فإن العلماء في العصر الحديث عمدوا إلى محاولة إيجاد معايير عالمية عامة هدفها ضبط حدود الحركات ورسم خطوطها المميزة، وذلك استعانة بما يمكن أن يقدمه العلم الحديث من أجهزة علمية لم يعرفها سيبويه ولا القدماء.

ومن العلماء المحدثين الذين وضعوا معاييراً للحركات دانيال جونز حيث وضع نظاماً أطلق عليه نظام الحركات المعيارية لتقاس عليه جميع الحركات في لغات العالم المختلفة وهي مقاييس عامة لا تنسب إلى أية لغة[51].

وقد نظر جونز إلى عضوين مهمين في تكوين الحركات وهما الشفتان واللسان باعتبارهما العضوين الرئيسيين في تعديل شكل مجرى الهواء خلال الفم. أما اللسان فقدنظر إليه باعتبارين أولهما: وضعه بالنسبة إلى الحنك الأعلى ارتفاعاً وانخفاضاً. وثانيهما: الجزء المعين من اللسان الذي يرتفع وينخفض. وأما الشفتان فنظر إليهما من حيث استدارتهما وضمهما أو انفراجهما مع نطق الصوت. وبذلك توصل إلى وضع ثماني حركات لها صفات محددة تحديداً دقيقاً. وصنف هذه الحركات اعتماداً على ذلك الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع إلى: أمامية وخلفية، والأمامية هي تلك التي يرتفع معها الجزء الأمامي من اللسان تجاه مقدم الحنك. وتمثلها الحركات من الأولى إلى الرابعة. والأولى هي الكسرة ويرمز لها بالرمز (i)، والرابعة هي الفتحة المرققة ويرمز لها بالرمز (a). ويقع بينهما الثانية والثالثة وتمثلان الحركات الفرعية الممالة إمالة خفيفة أو شديدة نحو الكسر. ويرمز لهما بالرمزين (e) و (ɜ).

وأما الخلفية فهي تلك الحركات التي تنتج عند رفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه أقصى الحنك، وتمثلها الحركات من الخامسة إلى الثامنة. والخامسة هي الفتحة المفخمة ويرمز لها بالرمز(ɑ) ، والثامنة هي الضمة ويرمز لها بالرمز (u). وما بينهما السادسة والسابعة تمثلان ما أميل إمالة خفيفة أو شديدة من الألف تجاه الضمة ويرمز لهما بالرمزين (ɒ) و (o).

---

[49] ينظر :علم اللغة، محمود السعران ،ص148. ومحاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب ،ص219.

[50] ينظر :دراسة السمع والكلام، سعد مصلوح ،ص162-166. والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ،ص26. والأصوات اللغوية، ستيتية ،ص207.

[51] ينظر :علم الأصوات، كمال بشر ،ص420. واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ،ص135.

وبالنظر إلى درجة ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى قسمها إلى ضيقة ومتسعة. والضيقة هي الحركات التي يكون وضع اللسان حال النطق بها مرتفعاً تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات. وتمثلها حركتا الضمة والكسرة. والمتسعة هي التي يكون اللسان حال النطق بها منخفضاً في قاع الفم إلى أقصى درجة، وتمثلها الفتحة بنوعيها المرققة والمفخمة.

أما ما وقع اللسان حال النطق بها في ثلث تلك المسافة من الحركات الضيقة إلى المتسعة فتسمى نصف ضيقة. وما وقع اللسان حال النطق بها في ثلثي المسافة فتسمى نصف متسعة.

وأما باعتبار استدارة الشفتين أو عدمها فقد قسمها إلى حركات مستديرة وهي ما يرافقها استدارة في الشفتين، وتمثلها الضمة والحركات الممالة نحو الضم. في حين تسمى بقية الحركات حركات غير مستديرة[52]، والشكل الآتي يبين وضع الحركات المعيارية الثماني الرئيسية:

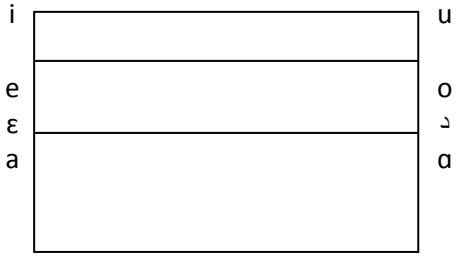

ويكشف مقياس دانيال جونز هذا عن عدة أمور يحسب الفضل في بيانها وإيضاحها إلى المحدثين، منها الفرق بين الحركات وأنصاف الحركات؛ فالكسرة والضمة تنتجان بارتفاع اللسان نحو الحنك الأعلى إلى أقصى درجة مع بقائهما حركتين. أما إذا ارتفع اللسان أكثر من ذلك ضاق المجرى بحيث ينتج صوت الياء والواو اللذان هما أنصاف صوائت[53]. وأما الفتحة أو ألف المد فتنتج بهبوط اللسان معها إلى قاع الفم فيكون مستوياً مع الفتحة المرققة مع رجوعه إلى الخلف قليلاً مع الفتحة المفخمة[54].

ومنها أنه ليس للحركات حيز نطق معين كما فهم سيبويه وإنما هي أوضاع يتخذها اللسان صعوداً ونزولاً نحو الحنك الأعلى وتجاه أسفل الفم. وتشترك فيها مجموعة من الأعضاء تؤثر على تيار الهواء أهمها اللسان والحنك الأعلى والشفتان والوتران اللذان يلعبان دوراً في إحداث الجهر.

كما يكشف عن عناية المحدثين بالحركات الفرعية فالحركات الثلاث الأساسية الفتحة والضمة والكسرة تفرع عنها حركات ثانوية هي: الفتحة الممالة نحو الكسر، والفتحة الممالة نحو الضم. وقد كان تحديدهم لهذه الحركات أكثر دقة مما كان عند القدماء على الرغم من تنبه سيبويه إلى الحركات التي تنتج بتقارب الألف نحو الياء وهي التي سماها الإمالة. وقد أفرد لها باباً مستقلاً في كتابه. أما الميل من الفتحة

[52] ينظر :علم الأصوات، كمال بشر ،ص225-234. وفي الأصوات اللغوية، غالب المطلبي ،ص29-32. ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ،ص150-152.

[53] ينظر :علم الأصوات، كمال بشر ،ص227-228.

[54] السابق، ص227.

إلى الضمة فقد أطلق عليه مصطلح التفخيم وليس الإمالة، كما في لفظ الصلوة والزكوة. بينما سمّى التقارب الذي يحدث بين الكسرة والضمة إشماماً. غير أنه لم يصنف ألف الإمالة وألف التفخيم كحركتين مستقلتين وإنما أشار إليهما بوصفهما صورتين نطقيتين لألف المد في مواضع معينة يحددها السياق الصوتي، وليست وحدة صوتية مستقلة[55].

ومن جانب آخر فقد كان لسيبويه من الحس المرهف ومن دقة الملاحظة ما جعله يميز بين الأصوات التي تهتز معها الأوتار الصوتية وتلك التي لا تهتز معها، فاستطاع أن يصنف الأصوات تصنيفاً صحيحاً إلى مجهورة ومهموسة، ويميز بينها تمييزاً صحيحاً على الرغم من أنه لم يكن على معرفة بالوترين الصوتيين ولم يشر إليهما في كتابه. إلا أنه أدرك دورهما وعرف أهم مظاهرهما في الصوت المجهور؛ فوصفه بأنه صوت متمكن فيه قوة ووضوح. وتحدث عن حروف المد ووصفها بأنها مجهورة وليست مهموسة. ولقد كان أول من فرّق بين المجهور والمهموس من علماء العربية وتابعة في ذلك جميع من جاء بعده. فقد عرّف الصوت المجهور بأنه "حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[56]. وعرّف المهموس بأنه: "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"[57].

ولم يشرح سيبويه ما قصده بالاعتماد أو إضعاف الاعتماد أو بمنع النفس أو جريانه. وتعريفه هذا وقف أمامه العلماء حائرين ووجدوا صعوبة في فهمه؛ وذلك لأن عباراته لا تخلو من بعض الغموض. ومع ذلك حاولوا أن يحللوا كلامه ويضعوا له التفسيرات التي يرونها مناسبة ولكنهم لم ينتهوا إلى نتيجة حاسمة في ذلك[58].

وقد استنتج إبراهيم أنيس من كلام سيبويه أن إشباع الاعتماد يعني أنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة فالمجهور أوضح في السمع من المهموس، وليس للاعتماد معنى سوى عملية إصدار الصوت وأشبع الاعتماد في موضعه لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج. وأما قوله منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد فيعني أنه شعر باقتراب الوترين مع الصوت المجهور حتى ليكادان يسدان طريق التنفس[59]. وتلك الصفة أثبتها المحدثون في شرحهم للمجهور عندما قرروا أن المجهور أوضح في السمع من المهموس. والمجهور عند المحدثين ما اقترب معه الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر حتى يندفع هواء النفس من بينهما في قوة تحرك الوترين وتجعلهما يتذبذبان[60]. وأما ضعف الاعتماد مع المهموس فيعني به عدم تمكن الصوت أثناء جريانه في مجراه فيكون طريق التنفس مفتوحاً بحيث يسمح بانسيابه حراً طليقاً. وعبر المحدثون عن ذلك بقولهم إن الوترين مع المهموس يبتعدان فينطلق

---

[55] السابق، ص454-455.

[56] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص574.

[57] السابق، ص574.

[58] ينظر :المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم الحمد ،ص104.

[59] ينظر:الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ،ص123-125.

[60] ينظر :دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ،ص128. والأصوات اللغوية، ستيتية ،ص101. والمصطلح الصوتي عند علماء العربية، عبد القادر مرعي الخليل ،ص90.

النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما فلا يحدث معه الذبذبات. وهذا هو معنى جريان النفس مع الحرف فإن جرى النفس مع الحرف يكون المنطوق مهموساً، وإن منع من الجريان حتى ينتهي النطق، يكون المنطوق مجهوراً[61].

وقد التبس على بعض الدارسين فظنوا أن منع النفس هو الانحباس الذي يحدث مع الأصوات الشديدة. وليس الأمر كذلك لأن منع النفس مع المجهور عملية تتم في الحنجرة، أما الانحباس الحاصل مع الصوت الشديد فيحدث في مخرج الصوت[62].

أما استعماله لكلمة موضعه دون مخرجه فيدل على أن الاعتماد له موضع وليس مخرج، وأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين وحتى انطلاقه إلى الخارج. فكلمة موضع هي ما يعبر عنه بالمجرى.

وبالإضافة إلى أساس جريان النفس وعدمه فإن سيبويه أحس بصوت يخرج من الصدر لا يكون إلا مع الأصوات المجهورة. وقد أشار إلى ذلك بقوله: "ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي والطاء والذال والضاد. لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذا فتسمع نحو النفخة"[63].

وهذا الصوت الخارج من الصدر هو الناتج عن ذبذبة الوترين، فسيبويه أدرك صدى الصدر لعدم معرفته بمصدر الذبذبة الصوتية. في حين أن هذا لا يحدث مع الأصوات المهموسة، يقول: "وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر؛ وإنما تنسل معه"[64].

وإحساسه بوجود صوت يخرج من الصدر مع الصوت المجهور هو ما أثبته العلم الحديث بوجود ذبذبات ترافق الصوت المجهور في الوترين الصوتيين. ويرى تمام حسان أن هناك نوعاً من التقابل بين النفس وبين الصوت. فالنفس مرتبط بالهمس والصوت مرتبط بالجهر؛ لأن المجهور صوت شدد الضغط معه في الحجاب الحاجز ولم يسمح للهواء أن يجري معه حتى ينتهي الضغط عليه. والمهموس صوت أضعف الضغط في موضع الضغط أثناء نطقه حتى جرى الهواء معه فيكون إذن جريان الصوت الذي يسمح في نهايته للنفس بالانطلاق وما يرافقه من ذبذبات مع المجهور، وجريان النفس على طبيعته مع المهموس[65].

ومن الجدير بالذكر أن نتائج سيبويه لم تكن بعيدة عن وصف المحدثين للجهر والهمس فقد اقترب من الحقيقة العلمية التي أكدها علم الأصوات الحديث على الرغم من وجود بعض الغموض في تعريفه للمجهور والمهموس.

ويرى فوزي الشايب أنه لا يمكننا أن نلوم سيبويه على ما وقع في كلامه من بعض الغموض لأن وصف الحركات حتى عند المحدثين أصعب بكثير من وصف الصوامت، فنطق الصوامت يصحبه تعويق كلي أو جزئي من شأنه أن يوفر لنا عنصراً مادياً محسوساً يتخذ أساساً لوصفها. أما الحركات فتؤدى مع تقارب متسع لأعضاء النطق لا تتضمن أي اتصال بينها، لذلك فنحن بحاجة إلى وسائل وتقنيات حديثة

---

[61] ينظر :الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ،ص123-125.

[62] السابق، ص125.

[63] الكتاب، سيبويه ،ج4، ص287.

[64] السابق، ص288.

[65] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ،ص61-62. وينظر :المصطلح الصوتي عند علماء العربية، عبد القادر مرعي الخليل ،ص92.

لمعرفة عمل أعضاء النطق أثناء تأدية الحركات كالتصوير بالأشعة التي تعتبر الوسيلة الوحيدة المقنعة لتوضيح عمل هذه الأعضاء عند تأدية الحركات[66].

نتائج البحث

نتائج الدراسة:

ويمكن تلخيص النتائج التي وصلت إليها هذه الدراسة بما يلي:

أدرك سيبويه أهمية النظام الصوتي وقدم في كتابه دراسة وافية للأصوات ومخارجها وصفاتها كانت الأساس لمن جاء بعده من القدماء والمحدثين، واقتربت في نتائجها كثيراً مما جاء به الدرس الصوتي في الحديث. ولكنه نظراً لاعتماده على الملاحظة والاستقراء ولعدم توفر الإمكانات والوسائل التي أتيحت فيما بعد للمحدثين قد وقع في الخلط أو الخطأ والاضطراب في معالجته لبعض المسائل لأنه استند أحياناً إلى افتراضات وهمية بنى عليها قواعده.

قصر سيبويه استخدام مصطلح الحركات على الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) دون حروف المد واللين (الألف والواو والياء) ولكنه أدرك العلاقة بينهما وأنهما من طبيعة واحدة، وأن الحركات ناشئة عن حروف المد وهي منها. وقد أولى عناية أكبر بدراسة حروف المد أكثر من الحركات القصيرة لأن لها رمزاً كتابياً يشكل جزءاً من جسم الكلمة، ولما لاحظه من تعرضها للتغيير والتبدل من سياق إلى آخر فكان لا بد من معرفة سبب هذه التغييرات. بينما نظر إلى الحركات على أنها عناصر ناقصة وليس لها وجود مستقل وهي زوائد ليست جزءاً من نسيج الكلمة بل تابعة للحرف الصحيح. ولم ينظر إليها على أنها مكون مهم من مكونات النظام الصرفي. وأدت هذه النظرة إلى سوء فهم في تحديد طبيعة الحركات في اللغة العربية. نظر سيبويه إلى حروف المد على أنها حروف ساكنة مسبوقة بحركة من جنسها وهي ناشئة عنها. وهي عند المحدثين ليست حروفاً ساكنة ولا مسبوقة بحركة من جنسها، بل هي حركات خالصة فلا وجود لحركة تسبق حرف المد، فهي فكرة لا يرتضيها الدرس الصوتي الحديث. ويبدو أن السبب الذي دفع سيبويه لهذه النظرة هو أن نظام الكتابة العربي اعتمد على الصورة المكتوبة للكلمات وليس المنطوقة بينما تعتبر الصورة المنطوقة أساساً في الدرس الصوتي الحديث.

فرّق سيبويه تفريقاً صحيحاً بين حالتين للواو والياء، الأولى حالة المد واللين وتشاركهما فيها الألف، ويقصد بها حالة المد الخالص. والثانية حالة اللين فقط وتختص بالواو والياء إذا تحركتا أو وقعتا ساكنتين بعد فتح. وتسمى حالة المد الخالص عند المحدثين الحركات أو الصوائت الطويلة بينما أطلقوا على الواو والياء إذا كانتا حرفي لين فقط مصطلح أنصاف الصوائت أو الصوامت وذلك لأنهما يشبهان الصوامت في جانب ويشبهان الحركات في جانب آخر فهما يشبهان الصوامت في وجود احتكاك ناتج عن حدوث تضييق في موضع النطق وفي كونهما يلتئمان كالصوامت مع الحركات القصيرة لتشكيل مقطع مستقل ويشبهان الحركات في وضوحهما السمعي وفي حرية مجرى الهواء.

أشار سيبويه إشارة صحيحة إلى كيفية إصدار حروف المد واللين من امتداد مجرى الهواء واتساعه معها ومروره دون عائق أو تضييق. فمخرجها يتسع لهواء الصوت أكثر من اتساع غيرها، وقد خص الألف بمزيد من هذه الصفة وسماه الحرف الهاوي. ولهذا السبب أطلق على حروف المد واللين مصطلح الحروف الخفية، وهو مصطلح مقبول إن كان يقصد به اتساع مخرج الصوت وجريان النفس معها دون

[66] ينظر :محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب ،ص222. والأصوات اللغوية، ستيتية ،ص201-202.

عوائق، وغير مقبول عند المحدثين إن قصد به أنها حروف ضعيفة، فمن الثابت أنها ليست أصواتاً ضعيفة بل تتميز الحركات بقوة الإسماع وبقوة فيزيائية ناتجة عن ازدياد حركة الهواء معها.

أما مصطلح حروف العلة فقد أطلقه عليها نظراً لاختلافها عن بقية الحروف من الناحية الصرفية لأنه كثيراً ما يطرأ عليها التغيير والتبدل كالحذف أو الإبدال أو التسهيل.

جعل سيبويه لحروف المد واللين أحيازاً معينة لأنه اعتبرها حروفاً صحيحة ساكنة فجعل الألف ومعها الهمزة من أقصى الحلق، وجعل الياء والواو من حروف الفم، فأخطأ في ضمه الألف إلى الهمزة وجعلهما من مخرج واحد وهو أقصى الحلق، وقد لامس الصواب في وصفه لمخرج الهمزة التي هي صامت حنجري عند المحدثين، بينما الألف حركة خالصة وليست حرفاً صحيحاً، ولا هي من مخرج الهمزة. كما أنه خلط بين مخرجي الياء والواو المديتين، والواو والياء عندما تكونان حرفي لين فقط، فجعلهما من مخرج واحد فجعل واو المد من مخرج الواو المتحركة من الشفتين، وياء المد من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان. وقد أثبت المحدثون أنه ليس للحركات حيز نطق معين كما فهم سيبويه بل إن لها أوضاعاً تتخذها أعضاء انطق وتشترك فيها مجموعة من الأعضاء أهمها اللسان والحنك الأعلى والشفتان. كما أثبتوا أيضاً أن هناك فرقاً بين ما يسمى حركات أو حروف مد، وبين الواو والياء إذا كانتا لينتين (أنصاف صوائت) من حيث إن اللسان يرتفع أكثر تجاه الحنك الأعلى معهما إذا كانتا لينتين، بحيث يسمع نوع من الاحتكاك أو الحفيف يخرجهما من حالة الحركات الخالصة.

كانت نتائج سيبويه في حديثه عن الفرق بين الجهر والهمس متفقة في غالبها مع نتائج الدراسات الصوتية الحديثة. وقد وصف حروف المد والحركات الناشئة عنها بالجهر، وفرّق بدقة بين المجهور والمهموس، واستطاع أن يصنف الأصوات تصنيفاً صحيحاً إلى مجهورة ومهموسة دون أن يكون على علم بالوترين الصوتيين أو بمصدر الذبذبة الصوتية. وعلى الرغم من الغموض الظاهر في تعريفه للجهر إلا أنه أحس بخروج صوت يخرج من الصدر معه يعطيه قوة وتمكناً وقوة إسماع أكثر من المهموس.

عد سيبويه الفتحة أخف الحركات لأنها أول الحركات وأدخلها في الحلق وأكثرها خفاءً واتساعاً لمجرى الهواء وتليها الكسرة ثم الضمة. وكذلك فإن الألف عنده أخف من الياء والياء أخف من الواو. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الألف والفتحة كذلك هي الأكثر طاقة أكوستيكية من بقية الحركات، لأنها تنتج عن حركة قوية للهواء ويصحبها انفتاح كبير في القناة الصوتية مما يعني أنها ليست أخف الحركات بل أكثرها قوة وشدة.

أطلق المحدثون مصطلح الصوائت على كل من حروف المد (الحركات الطويلة)، وعلى الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة). وقد كانوا أكثر عناية بدراسة الحركات وكانت أسسهم في التفريق بين الصوائت والصوامت أكثر وضوحاً حيث وضعوا لذلك مجموعة من المعايير النطقية والفيزيائية والوظيفية. كما أنهم فرقوا تفريقاً دقيقاً بين الحركات وأنصاف الحركات. ونظراً لإدراكهم ما تشكله دراسة الحركات من صعوبة ظاهرة في الدرس النظري وفي الأداء الفعلي، فقد عمدوا إلى وضع معايير عالمية عامة يسترشد بها الدارس عند النظر في حركة اللغة المعينة لضبط حدودها ورسم خطوطها المميزة، منها نظام دانيال جونز للحركات المعيارية الذي أسهم في بيان صفات الحركات وآلية نطقها وتقسيماتها المختلفة.

- التوصيات:

توصي هذه الدراسة بإخضاع الحركات لمزيد من الدراسات الفيزيائية المعتمدة على الأجهزة العلمية ،وذلك للكشف عن خصائصها الفيزيائية وبيان الفروق الصوتية بين الحركات القصيرة والطويلة من جهة ،وبين الحركات والصوامت من جهة ثانية.

المصادر والمراجع

1- أبحاث في أصوات العربية،حسام النعيمي ، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998

2- الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى،عبد المعطي نمر موسى ، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد – الأردن.

3- الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979.

4- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير ستيتية ،الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، 2003.

5- دراسة السمع والكلام،سعد مصلوح ، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 2000.

6- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ،عالم الكتب، القاهرة، 1991.

7- الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية ومعجم ،محمد محمد داوود ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.

8- علم الأصوات، كمال بشر ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.

9- علم الأصوات النطقي، هادي نهر ،الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2011.

10- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل ،الطبعة الأولى، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 1998.

11- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،محمود السعران ، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان.

12- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، غالب المطلبي ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات، الجمهورية العراقية، 1984.

13- فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، خلدون أبو الهيجا ،الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، اربد، جدارا للكتاب الجامعي، عمان، 2006.

14- الكتاب، سيبويه ،ج4، تعليق د. إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

15- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ،ج1، تحقيق د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي.

16- اللغة العربية معناها ومبناها،تمام حسان ، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، 1998.

17- محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب ،الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، عمان – الأردن، 1999.

18- المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد ،الطبعة الأولى، دار عمار، 2004.

19- مدخل في الصوتيات،عبد الفتاح إبراهيم ، دار الجنوب للنشر والتوزيع.

20- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي الخليل ،الطبعة الأولى، 1993.

21- المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، إبرهيم عبود السامرائي ،الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع،2011.